

تعليم اللغة العربية وتعلمها في الصين: دراسة تاريخية

Teaching and learning Arabic Language in China: A Historical Study

Wang Hua*Ph.d Research Scholar, Department of Arabic. National University of Modern Languages (NUML) Islamabad.*Email: 1747830587@qql.comORCID: <https://orcid.org/0000-0001-6245-7290>**Dr. Hafiz Muhammad Badshah***Assistant Professor, Department of Arabic. National University of Modern Languages (NUML) Islamabad.*Email: mbadshah@numl.edu.pkORCID: <https://orcid.org/0000-0003-0159-0674>**ABSTRACT:**

Arabic language is a common language of Arab nation and one of the working language of the United Nations. It is one of the most important academic languages for about 1000years, therefor Arabic language was so widely spread that the scope of studying and using was expanded to many continents, mainly to Asia, Africa and Europe.

Relationships between China and Arab go to very ancient times and it might be traced to two thousand years ago. During the Han dynasty, the relation between China and Arab had been established, and in Tang Song dynasty, bilateral relations were enhanced. When it was during the Yuan dynasty, Arabic had been widely spread and used and Chinese people started learning it and activities had been continuing till today. In the 20th century, China witnessed a rapid development in the Arabic teaching, firstly it was transferred from the mosque style to school style, and secondly it leaped from private school to national universities and brought into educational system of the government.

It is obviously that the Arabic teaching in China has a long history and it constitutes an important part in history of foreign languages teaching in China as well as an important part of Sino -Arab relations.

The half a century after establishment of the new China is a gold age in the history of the Arabic teaching in China. In this period a number of standard textbook were edited and exchanges with Arab countries were expanded, the teaching programs for different levels were worked out, and the studies in different fields were started, a number of Arabic talents were produced, many remarkable achievements were reached in the Arabic teaching and learning.

Keywords: Arabic language, Arabic teaching, China, dynasty, long history, gold age, remarkable achievements.

كان هناك شعبان مجتهدان وشجاعان وذكيان لهما تاريخ طويل في الشرق القديم - الأمة الصينية والأمة العربية. لقد أنشأت هاتان الدولتان العظيمتان أقدم، وأروع، وأمجد الحضارات والثقافات في العالم. أنّ طريق الحرير الجميل هو رباط صداقة، وتغذي التبادلات الاقتصادية والثقافية أرضهما، واستمرت التبادلات والتفاعل بين الشعب الصيني والشعوب العربية.

إن اللغة العربية من أقدم اللغات في العالم، وهي لغة للأمة العربية، ولغة رسمية لـ ٢٢ دولة من الدول العربية، ولغة رسمية للأمم المتحدة.

العلاقات العربية - الصينية قديمة قدم التاريخ نفسه، المروي منه والمكتوب. فمما دلت عليه الحقائق التاريخية أن اللغة العربية دخلت إلى الصين منذ وقت مبكر، يذهب كثير من المؤرخين العرب والصينيين إلى أنها دخلت مع دخول الإسلام إليها في القرن السابع الميلادي؛ فقد اتفقت المصادر الصينية والإيرانية والرومانية علي أن العلاقات العربية - الصينية تعود إلى عام ١٤٩ قبل الميلاد (ما قبل ظهور الإسلام). هذا يختلف عما يتصوره بعض الناس من أن الصين عرفت اللغة العربية بعد الفتح ودخول الدين الإسلامي، كما هو الحال بالنسبة للبلاد التي فتحت شرقا وغربا بعد الفتح الإسلامية.^١

وتمتد العلاقات الصينية والعربية بعيدا في أعماق التاريخ، ففي عهد هان - وكانت الصين في حكم أسرة هان الملكية، ويعتبر ذلك أقدم معلومات تاريخية حت الآن عن إيفاد الصين رسلها إلى بلاد العرب-قبل ألفي عام وجدت أوليات الاتصال بين الصين والعرب، وفي عهد هان الغربي (٢٠٦ ق م - ٢٢٠ م) أرسل تشانغ تشيان مرتين إلى الأقاليم وراء حدود الصين الغربية كرسول من قبل الصين، وكتب له النجاح في شق طريق الحرير الشهير المتواصل إلى آسيا الغربية حتى إلى العراق وسوريا حاليا وغيرها من الدول العربية، وبعد تشانغ تشيان حتى في عهد هان الشرقي (٢٢٠ م - ٣٢٥ م) قد أرسل بان تشاو وقان بينغ مرتين إلى الأقاليم وراء حدود الصين الغربية، وبالتالي قد جمعت المعلومات كثيرة عن العرب، منها ما يتعلق باللغة العربية.^٢ فمن المتوقع أن الصينيين في ذلك الزمان قد تعرفوا على اللغة العربية. ولكن كانت الاتصالات بين اللغة العربية والصينية محدودة جدا وغير مباشرة بسبب أن الصين بعيدة عن بلاد العرب، كما بسبب أن العربية ما كانت موحدة في تلك المرحلة ولها لهجات كثيرة. على الرغم من هذا، فيمكننا أن نقول إن الصين من أقدم البلاد في العالم التي دخلت فيها اللغة العربية.

إذن للصين تاريخ طويل مع اللغة العربية، وتعليمها عند الصينيين له تاريخ عريق، قديم مثل قدم العلاقات الصينية والعربية، حافل بالتجارب الغنية، ولا يزال يتطور ويرتقي منذ أكثر من ألف عام. ولم يكن تعليم اللغة العربية من مكونات تاريخ تعليم اللغات الأجنبية في الصين فحسب، بل من أهم مضامين العلاقات الودية بين الصين والعرب.

إن اللغة العربية هي من أقدم لغات تعليم اللغات الأجنبية في الصين، لقد مر تعليم اللغة العربية في الصين عبر مئات السنين، ويمكن أن نقول إنها تتقدم في التحولات والانعطافات، وتتطور في التقدم. وتنقسم بشكل رئيسي إلى الفترات التالية:

المرحلة الأولى: فترة الأسر الصينية الملكية

"قد ورد في السجلات التاريخية أنّ الإسلام دخل أول ما دخل إلى الصين مع توافد البعثات العربية إليها في عصر الخليفة عثمان بن عفان (٦٧٧-٦٥٦م)، الموافق لعهد أسرة تانغ الملكية (٦١٨-٩٠٧م)"، وأن أول الوفد من العرب قد وصل إلى عاصمة الصين، وهي مدينة تشآن آن في السنة الثانية لحكم الإمبراطور يونغ هوي لأسرة تانغ في سنة ٦٥١م، واستقبلهم الإمبراطور استقبالا حسنا في البلاط، وهذه الحادثة تعتبر فيما بعد أول اتصال رسمي بين الجزيرة العربية والصين، كما يعتبر ذلك العام بداية رسمية لدخول الإسلام في الصين.

وتليها بعثات عديدة لم تنقطع لمئات سنين، وكان في زمن الدولة الأموية والدولة العباسية أن أرسلت رسلها إلى الصين ٣٩ مرة^٣. ففي عهد الأسرتين الملكيتين تانغ وسونغ (٩٧٠-١٢٧٩م) كثرت الاتصالات بين العرب والصين يوما بعد يوم، ووفدت إلى الصين مجموعات كثيرة من التجار المسلمون من العرب والفرس بلا انقطاع، واستوطن كثير منهم بالصين وصار من أهل الجالية العربية أو الإسلامية في كل من مدينة كانتون وتشيوآن تشو وهانغ تشو ويانغتشو وغيرها من المدن الساحلية حتى يسهل عليهم الدخول والخروج من الصين لقرب الميناء. وبنوا المساجد، وتعليم اللغة العربية والكتب الدينية وثقافة موروثها فيها، حتى تكون مصدرا لتدريب المواهب في اللغة العربية في الصين. هذه المرحلة من تعليم اللغة العربية في الصين، طبيعتها وخصائصها تنتمي إلى أسلاف المسلمين الصينيين - تعليم اللغة العربية بأسلوب العرب.

وفي عهد أسرة الملكية يوان (١٢٧١-١٣٦٨م)، وجدنا أن الأوضاع السياسية قد تغيرت تغيرا كبيرا في الصين وكذلك مناطق آسيا الوسطى وآسيا الغربية، مما أدى إلى كثرة التبادل بين الصين وغيرها، وانتقال كثير من مسلمي العرب والفرس، وهجرتهم إلى الصين واستيطانهم بها، كانوا يقيمون في مختلف المناطق الصينية يزعمون ويعيشون مع المواطنين المحليين منهم قومية هان وقومية مونغوليا وقومية ويغور اولخ ويتزوجون معهم. "ومن بينهم جنود وصناع وتجار وعلماء، وتشكلت منهم كتلة فريدة متميزة، يطلق عليها اسم هوي هوي (المسلمون) فيما بعد"، وانتشر المسلمون في كل أنحاء الصين مما أتاح للإسلام أن يصل في الصين إلى أقصى أبعادها، وهذا يرجع فضلا إلى تزايد الوافدين إلى الصين، كما يرجع إلى اعتناق عدد كبير من الصينيين الإسلام. لذلك كان هناك قول متأثر في ذلك الوقت: "ينتشر هوي

هوي في كل أنحاء الصين في عهد أسرة يوان الملكية.⁴ هم أنشأوا مساجد في المناطق التي استقروا بها، وقاموا بتعليم اللغة العربية والكتب الإسلامية في المساجد. وانتشرت اللغة العربية مترجمة مع ذلك بين الجالية العربية والمسلمين الصينيين.

قد قام أبناء هوي هوي بدور مهم في إقامة الأسرة الملكية يوان في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية، وفي تأسيس العلاقات الخارجية، مما جعل اللغة العربية تنتشر، "وتستخدم في الصين علي نطاق واسع، فلم تكن اللغة العربية لغة التخاطب والتدين للمسلمين الوافدين من بلاد وراء حدود الصين الغربية فحسب، بل أصبحت من اللغات الأجنبية الرئيسية المتعملة في الصين، لتبسيط التبادل الدولي في ساحات السياسة والثقافة والتكنولوجيا. فقد انتقلت الصين من العرب كثير من العلوم والتكنولوجيا الحديثة ومصادرها التي تتعلق بعلم الفلك وعلم التقويم والطب والحساب والعسكرية والبناء. وكانت الأسرة الملكية يوان تولي اللغة العربية اهتمامات كبيرة التخاطب والتواصل في شؤون الداخلية والخارجية. وفي عام 1289م، أسست الدولة مدرسة يقال لها المعهد الملكي لهوي هوي لإعداد رجال الترجمة، وهذه المدرسة تعتبر حقا من أقدم مدارس اللغة الأجنبية في الصين".⁵

واللغة العربية في هذه المرحلة ما زالت تستخدم في ملايين العرب المهاجرين وبعض خلفاء الفرس والترك، وكانت العربية تدرّس عن طريق التربية المنزلية وبواسطة الاستنساخ اليدوي والرواية الشفوية. يعلم هؤلاء الأسلاف العرب أولادهم والمسلمين الذين بدؤوا يعتقدون دين الإسلام ألفاظ العربية وكيفية قراءة العربية، لتأمين حاجاتهم إلى قراءة القرآن الكريم واتصالهم مع كل المسلمين.

فإن تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة قد تقدم خطوة واسعة بتعليم اللغة العربية إلى الأمام في الأزمنة الحديثة لدينا، ومن سماته التحول من تعليم اللغة العربية علي الطريقة العربية إلى تعليم ثنائي اللغة (اللغة الصينية والعربية) على الطريقة الصينية، لقد أرسى الأساس لإنشاء تخصصات اللغة العربية وتنشئة مواهب اللغة العربية في الجامعات والكليات الصينية في العصر الحديث.

هذا هو التعريف الموجز عن حالة تعليم اللغة العربية في فترة الأوسر الصينية الملكية. وعلي العموم أن تعليم اللغة العربية قد بدأ في الصين منذ أكثر من ألف سنة، هو بدأ أول ما بدأ أيام أسرة تانغ، وازدهر في الأوسرتين يوان ومينغ. ولكنه مع ذلك كان يقتصر على المساجد في بادئ الأمر، ولم يدخل الجامعات الصينية إلا قبيل تأسيس جمهورية الصين الشعبية. إن دلّت على شيء فقد دلّت على حالة نموّ وتطورّ طبيعي وبطيء على المستوى الشعبي.

المرحلة الثانية: تعليم اللغة العربية في الصين في القرن العشرين

إن القرن العشرين من أهم العصور في تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين، "فمن خلال هذا القرن حدث تغير كبير في الصين سياسيا وثقافية وتعليميا، حتى حدث التغير العميق في ساحات تعليم اللغة العربية، فأصبحت مضامين التعليم وأساليبه وأهدافه وجودته تتطور وترتقي، وحدث في هذه الساحة انتقالان عظيمان: الأول الانتقال من التعليم المسجدي التقليدي إلى التعليم المدرسي المنظم في بداية القرن العشرين"، والثاني انتقاله من المدارس الأهلية إلى المعاهد والجامعات الحكومية في أواسط القرن العشرين. وفي أواخر القرن العشرين انتقل من المرحلة الجامعية إلى الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه). "فلذلك يمكننا أن نقول أن المائة سنة هذه من أهم المراحل التاريخية في تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين منذ أكثر من ألف عام".

١ - فترة الأولى من القرن العشرين

أما في بدايات القرن السابق أي العشرين قد تسبب التغير الكبير في أنظمة السياسة والمجتمع الصينية ونظام التعليم في الصين، فمن جهة سياسية قد أسقطت ثورة شين خان (الثورة البرجوازية الديمقراطية في عامة ألف وتسعمائة وأحد عشر)، "الأسرة الملكية الحاكمة تشينغ وأزيل نهائيا النظام الاستبدادي الاقطاعي الذي دام آلاف السنين، وقامت مقامها جمهورية الصين الوطنية، تسير علي نهج النظام الجمهوري الديمقراطي، وتسعي إلى تحقيق جمهورية القوميات الخمس: هان والمانشور والمنغول والتبت وهوي، وسواسية الأمم والقوميات، ومن الناحية الثقافية والتعليمية قد ألغي نظام الفحوص الإمبراطورية، وتدهور نظام تعليم الكتاتيب"، وانبثقت موجات التغير والثورات تحت تيارات الأفكار الحديثة والاتجاهات الإيديولوجية، ولا سيما منذ الحركة الثقافية الحديثة رابع مايو عام ١٩١٩م، وظهرت مجموعات كبيرة من أبناء الوطنية والحماسة يرفعون أعلام الديمقراطية والعلوم ينادون بالتغيير في مجالات الثقافة والتعليم، "وحلت اللغة الصينية الحديثة الفصحى محل اللغة الصينية الكلاسيكية، ونهض التعليم الحديث المدرسي المنظم، وفتحت الصين أبوابها نحو الخارج، وحجب لدى كثير من الناس السفر إلى خارج الصين لطلب العلم، حتى رأى الشباب المتحمسون أنه من الطرق المبسطة لإنقاذ البلاد وإسعاد المواطنين. وتحت تأثير هذه الظروف والاتجاهات قام المسلمون استجابة لتيارات العصر، ينادون بإصلاح وتعديل التعليم المسجدي التقليدي وإحاض التعليم وإعداد الرجال الأكفاء، فظهر عديد من مدارس تعليم اللغة العربية الحديثة، منها مدرسة تشندا للمعلمين بيكين (١٩٢٥م)، والمدرسة الإسلامية للمعلمين بشانغهاي، ومدرسة منيغ ده الثانوية بيوننان (١٩٢٩م) وغيرها".^٦ "فقد حققت نتائج ملموسة في تعليم اللغة العربية، واتصلت بمصر وغيرها من البلدان العربية، وأرسلت بضعة وثلاثون طالبا من طلابها إلى الأزهر الشريف كعبة العلوم الإسلامية في العالم الإسلامي، وقد وجدت لهذه المدارس

بعض الاهتمامات والمعونات من قبل بعض الدول العربية، وأهديت لها بعض الكتب، وأرسلت إليها بعض الأساتذة، وعلى سبيل المثال قد بعث الأزهر الشريف عام ١٩٣٣م أستاذين من أساتذته إلى مدرسة تشندا للقيام بالتدريس بأمر من ملك مصر، هذه هي الأولى من نوعها في إرسال المدرسين العرب إلى الصين بصورة رسمية"، وخطوة فعالة ذات أهمية بالغة في تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين وتعزيز التبادل الثقافي الصيني والعربي. وانتقل تعليم اللغة العربية من المساجد إلى المدارس، وبذلك تحقق الانتقال التاريخي الأول في تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين وتحطمت أساليب التعليم التقليدية المتحجرة، وتخلص تعليم اللغة العربية من القوالب التقليدية التي استمرت مئات السنين، مخرجا في ثوب جديد عصري متميز بالدروس المدرسية والأهداف التعليمية والأساليب المبسطة، يختلف تمام الاختلاف عن التعليم المسجدي التقليدي، "ويتميز التعليم الحديث بالاهتمام بجانب قدرة الدارسين علي حسن استخدام وظائف اللغة التي يدرسونها، وتعلم اللغة الصينية والتعرف علي العلوم والثقافات الجديدة، كما يهتم بأفكار الطلاب نحو الدولة وأيديولوجية المواطن، وقد نجح التعليم الحديث في تحقيق هذه الأهداف السالفة، وبالرغم من أنه يواجه صعوبات ومشاقات في مسيرته، وخرج مجموعة من أبناء اللغة العربية الأكفاء الذين يختلفون تمام الاختلاف عن الدارسين التقليديين، وهذا من أعظم النجاح الذي حققه نظام تعليم اللغة العربية الحديث في المدارس الحديثة، مما يدل على أن هذا الانتقال ذو أهمية بالغة".

٢- فترة تأسيس جمهورية الصين الشعبية من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦

بدأت اللغة العربية تدخل منهج تعليم اللغات الأجنبية لمؤسسات التعليم العالي في الصين منذ الأربعينات، مثل الجامعة المركزية السابقة بنانكين التي قررت مادة العربية عام ١٩٤٣ عندما عين الأستاذ عبد الرحمن نان تشونغ^٧ بعد تخرجه من جامعة الأزهر، وجامعة بكين التي قررت مادة العربية عام ١٩٤٦ علي يد السيد محمد مكين (ما جيان)^٨ زميل عبد الرحمن نان تشونغ. ولكن كان تعليم العربية لا يجري بشكل جيد بسبب أن الحكومة القديمة في تلك المرحلة ما اهتمت بتنمية العلاقة بين الصين والبلدان العربية.

"ولكن من أواخر الأربعينيات للقرن العشرين حدث تغير كبير آخر للمجتمع الصيني سياسيا وثقافيا وتعليميا. أفلح الشعب الصيني تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني في تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩، الأمر الذي فتح صفحة جديدة في مسيرته لتحقيق حلم النهضة بالأمة الصينية". ومع قيام جمهورية الصين الشعبية الجديدة عام ١٩٤٩، كانت الأمور كلها في أشد الحاجة إلي النهوض بها وتعديلها، ومع الحاجة الملحة في شؤون الدولة الخارجية وسعيها إلى توسيع وتعزيز العلاقات التعاونية الودية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة بين الصين والبلدان العربية. "وفي ظل هذا الوضع باتت

الصين في أمس الحاجة إلى أكفاء متخصصين في اللغة العربية في مجالات السياسة والدبلوماسية والتجارة والإعلام وغيرها، فبدأت الحكومة الصينية تهتم بشأن تعليم العربية جدا، وأدخلت مواد اللغة العربية ضمن مناهج المعاهد والجامعات الحكومية، وبذلك حصلت قفزة عالية تاريخية مرة أخرى لتعليم اللغة العربية في الصين". وأرسلت الصين أول فريق من الطلاب المبعوثين إلى مصر عام ١٩٥٥، واستقبلهم رئيس مجلس الدولة تشو ان لاي وشجعهم على دراسة العربية بجد واجتهاد. منذئذ أرسلت الصين عددا منظورا من الطلبة المبعوثين إلى مصر والعراق وسوريا والأردن والسودان والكويت واليمن وليبيا والجزائر. وقد أنشأت أقساما مستقلة لتعليم اللغة العربية تدريجيا في بعض الجامعات والمعاهد بعد جامعة بكين على التوالي مما جعل تعليم اللغة العربية في الصين نظاميا وقياسيا أكثر. جدير بالذكر أنه في عام ١٩٥٥، أنشأت بكين المعهد الإسلامي الصيني بموافقة الحكومة. من بينها، تحتل اللغة العربية نسبة كبيرة نسبيا في محتوى التدريس. وباعتبارها أعلى مؤسسة لدراسة الإسلام في الصين، فإنها لم تقدم مساهمات مهمة في دراسة الكتب الإسلامية فحسب، بل قدمت أيضا مساهمة لا يمكن تجاهلها في تعليم اللغة العربية في بلدنا.

"منذ عام ١٩٥٨، أنشئ تخصص اللغة العربية في كلية الشؤون الخارجية (في سنة ١٩٦٢ انضمت إلى جامعة الدراسات الأجنبية ببكين)، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين، ومعهد اللغات الأجنبية لجيش التحرير الشعبي الصيني، وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي، وجامعة اللغات ببكين، والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين. ومنذ ذلك الوقت، تخرج في الجامعات المعنية آلاف من المتخصصين في مجالات الشؤون الخارجية والتجارة والاقتصاد والإعلام والتعليم والبحوث العلمية والشؤون العسكرية وغيرها، وقد ساهم هؤلاء مساهمة عظيمة في تطوير العلاقات الصينية العربية. فأصبح تعليم اللغة العربية من مكونات مناهج التعليم العالي في الصين، وبذلك دخل في المرحلة التاريخية للتطور السريع في تأهيل كفاءات متخصصة عالية المستوى".^٩

ويستحق أن نذكر أنّ في أثناء هذه الفترة بذل العلماء العائدون من مصر من أمثال الأستاذ المرحوم محمد مكين من جامعة بكين والأستاذ عبد الرحمن نان تشونغ من جامعة الدراسات الدولية ببكين جهودا جبارة للنهوض باللغة العربية. إنهم المؤسسون والرواد لاختصاص اللغة العربية في الصين، "فإنهم بدأوا العمل من الصفر، وقاموا بوضع المناهج التعليمية وتأليف الكتب الدراسية وتصميم الطرق التعليمية المناسبة للشبان الصينيين مستفيدين من خبرات الغير وتجارب أنفسهم في الدراسة والتدريس، فقد لعبوا دورا كبيرا في انتشار الثقافة العربية الإسلامية وتطوير قضايا تربية العربية في الصين وتعزيز التبادلات الثقافية بين الصين والدول العربية".

على رأي، يمكننا أن نسمي هذه الفترة بفترة التطور النشط. "ذلك بأن استفاد تطور تخصص اللغة العربية في هذه المرحلة من القرار الحكيم والتخطيط الشامل من قبل لجنة الحزب المركزية للأهداف التعليمية، وفي غضون ١٧ عاما بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، تحت رعاية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وإشراف وزارة التربية والتعليم، قد ازداد عدد الجامعات ازديادا عبر الزمن، مما أعد روادا لتطوير التخصص في الجامعات الصينية، مما يكفل له تطورا سليما ومستداما".

٣- فترة من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٦

قد سميت هذه الفترة فترة الخطأ، وذلك بأن جمهورية الصين الشعبية مرت بفترات من التشنج الأيديولوجي بعد تأسيسها وكان أشدها ما يعرف بـ "الثورة الثقافية الكبرى" التي دامت أكثر من عشر سنوات، وتضرر منها المجال الثقافي والتعليمي تضررا شديدا، وخاصة مجال تعليم اللغات الأجنبية ومنها اللغة العربية. فكانت عملية التدريس تعطل تماما، والأساتذة الذين كانوا يعجزون في اجراء التدريس والبحث الأكاديمي، والطلبة الذين لم يتح لهم فرصة لإكمال الدراسة في البلدان العربية.

"وكان تشو أن لاي يشجع الأساتذة والطلبة في جامعة بكين وجامعة الدراسات الأجنبية بيكين قائلا: "لا بدّ لأكفاء متخصصين في اللغات الأجنبية من إتقان علوم أساسية تشمل ثلاثة جوانب، وهي الفكر السياسي، واللغة نفسها التي تشمل الصوتيات والقواعد النحوية والمفردات ومهارات الاستماع والتعبير الشفوي والقراءة والكتابة والترجمة، ومختلف المعارف الثقافية... ولا بدّ من إتقان كل هذه العلوم تلبية لاحتياجات الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي".^{١٠} وتحت تشجيعه المستنير، فبدأوا يتحركون للممارسة اللغوية اليومية، مما مكّنهم من العمل مباشرة تخرجهم من الجامعة.

وخلاصة القول إنّ تعليم اللغة العربية في بلدنا من الخمسينات إلى السبعينات من القرن العشرين، كان يمرّ بمرحلة رائدة، وعلى الرغم من أن تعليم اللغة العربية قد واجه بعض النكسات في عملية التطوير، إلا أن بعض الكليات والجامعات قد نجحت في تنمية عدد كبير من المواهب العربية المتميزة في ظل ظروف شاقة وصعبة، وتراكت لديهم خبرة غنية في تجميع المواد التعليمية والكتب المرجعية والمناهج في تعليم اللغة العربية.

٤- فترة في عقب سياسة الإصلاح والانفتاح (من ١٩٧٨ عام - ٢٠٠٣ عام)

بعد الثورة الثقافية، دخلت الصين في عصر الإصلاح والانفتاح سرعان. في عام ١٩٧٨، "بدأت الصين تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، ودخلت على إثر ذلك حقبة جديدة من الازدهار والتطور. ففي أغسطس من العام نفسه، عقدت وزارة التربية والتعليم ندوة وطنية خاصة بشأن تعليم اللغات الأجنبية، استهدفا إلى تلخيص التجارب والدروس والعبر، وإلى دراسة ماذا وكيف يمكن لتعليم اللغات الأجنبية أن

يساهم في البناء الوطني على نحو شامل في العصر الجديد. وتوصلت الندوة إلى وثيقة "العديد من التوصيات لتعزيز تعليم اللغات الأجنبية"، التي اهتمت على نحو خاص بتحسين جودة التعليم للغات الأجنبية من خلال النهوض بالعملية التعليمية، كما تطرقت إلى المتطلبات لبناء تخصصات جديدة والتوزيع العلمي للغات الأجنبية في المناطق المختلفة، وتأليف الكتب الدراسية ورفع كفاءة المدرسين. ولقد عززت هذه الندوة بشكل كبير من تطوير تعليم اللغات الأجنبية في الصين، فشهد تعليم اللغات الأجنبية في الصين تطوراً لا مثيل له في التاريخ".^{١١}

ومنذ تسعينات القرن العشرين ومع تطور الاقتصاد الصيني وزيادة الانفتاح على العالم الخارجي، كثر التبادل الاقتصادي والتجاري بين المناطق الصينية المختلفة وبين الدول العربية، فبدأ تزايد عدد أقسام تخصص اللغة العربية في جامعات إقليمية، ومعظمها في المناطق الواقعة في غربي الصين حيث تتواجد القوميات المسلمة مثل: جامعة نينغشيا وجامعة يوننان وجامعة القوميات في شمال غربي الصين ومعهد اللغات الأجنبية في تيانجين.

من أجل ضمان ورفع نوعية التعليم، كونت وزارة التربية والتعليم الصينية لجنا مختلفة لتوجيه وتقييم أعمال التدريس في الجامعات، ومنها "اللجنة الوطنية لتوجيه تدريس اللغات الأجنبية في الجامعات"، فهي الخطوة العملية الأولى في تخطيط برامج تعليمية ذات فاعلية خاصة وتتبع لهذه اللجنة فرقة اللغة العربية التي تقوم بتنسيق وتوجيه تعليم اللغة العربية في الجامعات. وتحت إشراف وتنظيم هذه الفرقة، شارك مجموعة من الأساتذة المحنكين في جامعات عديدة في تأليف "منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية" الذي صدر عام ١٩٩١. كما تم إنشاء "مجمع اللغة العربية بالصين للتدريس والدراسات" عام ١٩٨٥ الذي انضمت إليه جميع الجامعات التي تدرّس اللغة العربية، وينظم المجمع سنويا فعاليات متعلقة بتعليم اللغة العربية لوضع خطط تنفيذية خاصة بتدريس اللغة العربية ودراساتها، كما نظم المجمع وينظم نشاطات دراسية وعلمية حول التدريس والدراسات العربية كعقد دورات تدريبية وندوات علمية وإقامة مسابقات الخطابة أو الإنشاء أو الترجمة أو العرض الفني بين طلاب. والجدير بالذكر أنّ اللجان المذكورة أعلاه لعبت دوراً نشطاً في تنسيق الجهود وتنظيم التبادل والتعاون بين الجامعات، وفي التخطيط الشامل لتعليم اللغة العربية.^{١٢}

"وفي أواخر القرن العشرين خاصة بعد دخول الألفية الثالثة (٢٠٠٣)، مع تقدم مسيرة الانفتاح والاصلاح والبناء الاقتصادي دخل تعليم اللغة العربية في مرحلة جديدة متطورة متكاملة، ويعدّ هذه المرحلة امتداداً طبيعياً للمرحلة السابقة وتطوراً علمياً لها في آن واحد. وشهد تعليم اللغة العربية في هذه الفترة ازدهاراً غير مسبوق، وتبلورت منظومة تربوية تضم المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا التي

تشمل الماجستير والدكتوراه وما بعد الدكتوراه". طبعاً لم ينحصر وجود اللغة العربية في الجامعات الصينية فقط، بل هناك مستويات أخرى لتدريسها في الوقت الحاضر. "ومن هنا معاهد العلوم الإسلامية في بعض المناطق الصينية والتي تتبع إدارياً لفروع الجمعية الإسلامية في المقاطعات، ويدرس في هذه المعاهد طلاب مسلمون العلوم الإسلامية واللغة العربية. وفي السنوات الأخيرة، ونتيجة لمزيد من المرونة والانفتاح في سياسة الدولة الدينية"، تم إنشاء ١٠ معاهد للعلوم الإسلامية على مستوى المقاطعات التي يتواجد فيها المسلمون بكثرة، مثل في لياونينغ وشينجيانغ وتشينغهاي ونيغشيا وقانسو وخنان ويوننان وخبي وغيرها، قامت مختلف المناطق بفتح معاهد أهلية عالية للغة العربية بأحجام مختلفة، مكتملة بذلك الحلقة المفقودة في تبلور تعليم اللغة العربية النظامي في المؤسسات التعليمية العالية في الصين، ويقدر عدد الطلاب في هذه المعاهد بحوالي ألف طالب. ويشغل هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم في المساجد أو في الشركات التجارية أو في الدوائر الحكومية المحلية أو يسافرون إلى الدول العربية أو الإسلامية لإكمال دراستهم، هذا يدل على أنّ تعليم اللغة العربية في ساحة الدين الإسلامي حقق تقدماً إلى حد ما. كما أن بعض المدارس الثانوية في هذه المناطق لا تزال تدرس اللغة العربية، "وتنقسم هذه المدارس إلى نوعين، أحدهما مدارس أهلية تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية بشكل رئيسي، والآخر مدارس عامة تدرس فيها اللغة العربية كمادة اختيارية. ويقدر عددهم بعشرات الآلاف. وباتت بذلك بمثابة موارد بشرية تستحق العناية والتطوير والاستغلال في مجال تعليم اللغة العربية في الصين".^{١٣} وأما المساجد لا تزال تقبل عدداً كبيراً من التلامذة لتعلم اللغة العربية والعلوم الدينية أيضاً. ولكن وجود معاهد العلوم الإسلامية والمدارس العربية في أنحاء الصين يقلل بكثرة من عدد المسلمين الدارسين في المساجد والجامعات.

باختصار، في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، حقق تعليم اللغة العربية في الصين إنجازات ملحوظة في جميع المجالات. وأكثر من ٢٠ عاماً، لطالما كان التعليم العربي يتطور بشكل مستمر أثناء الإصلاح، وقد تم تحسينه باستمرار أثناء التطور، وهذه هي سمة عصر التطور السريع للمجتمع الصيني بأكمله خلال هذه الفترة.

المرحلة الثالثة: تعليم اللغة العربية في الصين في القرن الحادي والعشرين (من ٢٠٠٤ عام حتى الآن)

مع تصاعد وتطور اقتصاد الصين خاصة بعد دخول القرن الحادي والعشرين، والذي يتوجه إلى العالم الخارجي كأحد المحاور الرئيسية، بدأ تعليم اللغات الأجنبية في الجامعات الصينية ينتشر بسرعة. ومن تلك اللغات التي تلقي إقبالاً شديداً اللغة العربية.

"في مطلع القرن الحادي والعشرين، وفي ظلّ موجة العولمة الاقتصادية، شهد الوضع السياسي الدولي تغييرات عميقة، وباتت الدول العربية تلعب دوراً متزايد الأهمية في الشؤون الدولية بوصفها مجموعة مهمة من الدول النامية، كما أنّ الصين والدول العربية تحظيان بسمة بارزة في التكامل الاقتصادي. وكان من أهم تجلياته إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي عام ٢٠٠٤ كإطار تعاوني جماعي متعدد المجالات بين الجانبين، قبل إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي عام ٢٠٠٤، فتحت ١٣ جامعة تخصص اللغة العربية وآدابها". أما بعد ذلك فشهد هذا التخصص توسعاً سريعاً، ففي أقل من ٢٠ عاماً، يزيد عدد الجامعات التي فتحت تخصص اللغة العربية وآدابها عن ٥٠ جامعة في سائر المدن الكبرى كتبجيجين وشيان وشينينغ وخاربي ودارين وتشونغتشينغ وتشينغغدو ونانكين ويانغتسو وغيرها من المدن الرئيسة ليلتحق بها ما يبلغ ألف طالب سنوياً، بالإضافة إلى أكثر من ٢٠ جامعة أو معهداً فتحت تخصص اللغة العربية التطبيقية، ويصل عدد الطلبة الدارسين فيها لشهادات الدبلوم والليسانس والمجستير والدكتوراه ما يقارب ٦٠٠٠ طالب وطالبة. والأكثر من ذلك أنّ عدد الجامعات التي لها الحق في منح شهادة الدراسات العليا للمتخصصين في اللغة العربية وآدابها بلغ ٢٠ جامعة، مما يشكل نمطاً تعليمياً أكاديمياً مثاليّاً لإعداد الأكفاء.

أما المدارس الخاصة في نشر اللغة العربية فيصعب علينا أن نعطيها رقماً مضبوطاً، وإنما يقال لنا إن عدد طلابها منتظمين أو غير منتظمين قد قارب عشرة آلاف طالباً.^{١٤}

وفي عام ٢٠١٤ طرح الرئيس الصيني شي جين بينغ مبادرة "حزام واحد وطريق واحد" التي ستساعد على تعزيز التبادلات التجارية والسياسية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى بين الصين والبلدان العربية. وفي ظل تلك المبادرة، سيتقدم التعليم والدراسة في اللغة العربية وآدابها وثقافتها والخ تقدماً أكبر. وفي عام ٢٠٠٩، تبرعت الحكومة الإماراتية بمبلغ ٢,٨ مليون دولار أمريكي لتجديد مركز الإمارات لدراسة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الذي احتضنته جامعة الدراسات الأجنبية بكين. وفي عام ٢٠١٨، تم افتتاح فرع مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود العامة في جامعة بكين، والذي يعد ثاني فرع لها على مستوى العالم، والأول لها خارج العالم العربي. ويسعى فرع المكتبة لرفع مستوى التبادلات الثقافية والتعليمية بين الصين والعالم العربي في إطار مبادرة "الحزام والطريق" الصينية و"رؤية ٢٠٣٠" السعودية، ويوفر لجميع الجامعات والهيئات التعليمية والدراسية، الكتب باللغة العربية بنسختها الورقية والرقمية، وذلك من أجل تعزيز دراسة اللغة العربية في الصين. وتهدف هذه المشروعات إلى تعزيز التقارب والتفاهم فيما بين الثقافتين العربية والصينية وتطوير التدريس والدراسات العلمية للغة العربية

وعلموها في الجامعات الصينية، وإلى دفع التبادلات والتعاونات الفعالة بين الصين والدول العربية في مجالات التعليم والثقافة.^{١٥}

إلى جانب تعليم اللغة العربية، إن هناك نخبة من العلماء والأساتذة الصينيين بذل وما يزال يبذل جهودا جبارة في الدراسات العربية والعلوم المعنية بها وبنطاقاتها، وحققوا إنجازات مثمرة في ذلك. إذ ألفوا ونشروا عددا كبيرا من الكتب المنهجية والكتب العلمية والرسائل الأكاديمية والأعمال المترجمة، ونقلوا في خلال بضع وعشرين سنة الماضية أكثر من ١٠٠ عمل أدبي إلى اللغة الصينية، منها أعمال لنجيب محفوظ وجبران خليل جبران وجمال الغيطاني وأدونيس وترجمة جديدة لـ "ألف ليلة وليلة" وغيرها. وفي الدراسات اللغوية ظهرت مؤلفات عديدة، مثل "البلاغة العربية" و"دراسة جديدة للبلاغة العربية"، و"علم المفردات العربية"، و"علم النصوص العربية"، و"تاريخ تطور اللغة العربية" و"اللغة العربية والحضارة العربية".

كلما تناولنا إنجازاتنا في تعليم اللغة العربية ونشرها لا يمكن أن نغفل عن فضل أبناء الشعب العربي، إذ إن الخبراء العرب جيلا إثر جيل قد بذلوا عمرهم في خدمة التدريس عندنا، وأنّ الدول العربية قدّمت مساعدات مشكورة لتطوير قضية تعليم اللغة العربية من قبل بعض القطاعات المعنية من مصر والأردن وسوريا وليبيا واليمن ولبنان والعراق والسودان وفلسطين والجزائر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وجامعاتها ومراكز الدراسات العلمية، وسفارات الدول العربية لدى الصين، وبعثة جامعة الدول العربية في الصين، وقد أقيمت بعض الأنشطة الفعالة المتعددة الأطراف في حقل تعليم اللغة العربية المشتركة بين الصين والدول العربية، وذلك بإرسال الخبراء وأساتذة ومدرسين مثل الأديب السوري الكبير حنا مينا، والمفكر العراقي هادي العلوي، والكاتب السوري محمد يونس والمترجم الفلسطيني محمد نمر عبد الكريم لإلقاء الدروس العربية، أو مشاركة الزملاء الصينيين في تأليف القواميس والكتب المنهجية، أو إجراء التنقيح اللغوي على أعمال المترجمين الصينيين. وإهداء الكتب القيمة والمصادر الثمينة، وتزويد بعض المرافق التعليمية، وتقديم منح دراسية، وإعداد المدرسين وما إلى غير ذلك.^{١٦}

هذا هو مختصر عن تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين، له مراحل التطور الطويلة ونشاطات التطبيق الوافرة، ولم يكن يحتل مكانا مهما في تاريخ تعليم اللغات الأجنبية في الصين فحسب، بل يعتبر موضوعا مهما في العلاقات الودية بين الصين والعرب أيضا. وإن دراسة تاريخ تطور تعليم اللغة العربية في الصين خاصة الاطلاع على مسيرة تطوره خلال القرن العشرين لها أهمية بالغة من حيث القيم العلمية والواقعية في تلخيص التجارب الناجحة التاريخية في تعليم اللغة العربية في الصين، وتحسين تطور قضيته، وتعميق نشاطات التبادلات الشاملة بين الصين والدول العربية.

ولذا يمكننا أن نقول إن تطور قضية تعليم اللغة العربية في عهد الصين الجديدة هو خير شاهد علي العلاقات الودية الصينية العربية منذ خمسين عاما.

(References)

- ١- سوسن محمد حسنى محمود، اللغة العربية في الصين ماضيها وحاضرها، رسالة الماجستير، جامعة القديس يوسف، ١٩٩٥م. ص ١٠
- ٢- سيما تشيان (هان)، السجلات التاريخية-سيرة داوان، دار الصين للكتب، ١٩٨٢م. وكتاب هان الأخيرة - فان يه، سيرة تشانغ تشيان، دار الصين للكتب، ١٩٨٠م.
- ٣- شن فو وي، تاريخ التبادل الثقافية بين الصين والغرب، الطبعة الثانية، دار الشعبية شنغهاي، ٢٠٠٦م. ص ١١٣
- ٤- تشانغ تينغيو وآخرون، كتاب تاريخ أسرة مينغ الملكية، سيرة سمرقند، الطبعة الأولى، دار نشر الكتب القديمة بشنغهاي، ومكتبة شنغهاي، ١٩٨٦م.
- ٥- فوكه، تاريخ تعليم اللغات الأجنبية بالصين، الطبعة الثانية، دار تعليم اللغات الأجنبية بشنغهاي، ٢٠٠٤م. ص ٨٣
- ٦- د. دينغ جيون، الخطوط العريضة عن تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين، دار العلوم الاجتماعية الصينية للنشر، بكين ٢٠٠٦م.
- ٧- نان تشونغ: ولد في ١٩٠٩-٢٠٠٨م، ويعتبر الأستاذ عبد الرحمن نان تشونغ (أستاذ متقاعد في جامعة الدراسات الأجنبية بكين) أول من بدأ تعليم اللغة العربية في جامعة صينية، ففي عام ١٩٤٣، بعد تخرجه في جامعة الأزهر وعودته إلى الصين بدأ لأول مرة تعليم اللغة العربية في الجامعة المركزية (جامعة نانجينغ حاليا)، حيث ألف الأستاذ نان تشونغ أول كتاب منهجي لتعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية؛ كما اشتهر بدراسته للتاريخ والحضارة العربيين، إذ ألف "تاريخ العرب"، وترجم العديد من الكتب الثقافية الكلاسيكية العربية، وفي عام ٢٠٠١، حصل على "جائزة المشاركة للثقافة العربية" الممنوحة من قبل منظمة اليونسكو، التي تبرع بها الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة.
- ٨- محمد مكين: ولد في ١٩٠٦-١٩٧٨م، يعتبر الأستاذ مكين من رواد إعداد أكفاء اللغة العربية في الصين، وواضع أساس تعليم اللغة العربية للصينيين بطريقة علمية. هو مؤسس قسم اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة بكين. وأدرجت اللغة العربية رسميا في منهج التعليم العالي بالصين لأول مرة في تاريخ التعليم الصيني. وترجم مكين كثيرا من المؤلفات الهامة الى الصينية وأصدر عددا كبيرا من المؤلفات والمقالات عما يتعلق بالثقافة الإسلامية والعلوم العربية من الأدب واللغة والتاريخ، مثلا: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، ومعجم العربية الصينية وغيرها. وأيضا ترجم بعض الكتب الصينية المشهورة إلى اللغة العربية، من أمثالها: كتاب الحوار لكونفوشيوس، والأساطير الصينية، والحكم الصينية وغيرها.
- ٩- د. دينغ جيون، الخطوط العريضة عن تاريخ تعليم اللغة العربية في الصين، د. جينغ رونغ، اللغة العربية في الصين: تاريخها وتأثيراتها في اللغة الصينية: مقالة نشرت في المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، بي تشي، اللغة العربية في

- الصين: من مجلة العالم العربي، العدد ١ و ٢ عام ١٩٩١. ود. تشانغ هونغ، اللغة العربية في الصين، مقالة نشر في "بيت العرب" العدد ٤٩، ٢٠٠٥م.
- ١٠- د. فوكه، تاريخ تعليم اللغات الأجنبية بالصين، دار تعليم اللغات الأجنبية بشانغهاي، ١٩٨٦م. ص ١١٦
- ١١- زوليغ، التدريس والبحوث العربية في الصين الجديدة، مختارات من دراسات الشرق الأوسط، ٢٦ أغسطس ٢٠١٧
- ١٢- د. فوكه، تاريخ تعليم اللغات الأجنبية بالصين، ود. تشو وي ليه (عبد الجبار)، أستاذ بجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي ورئيس معهد الدراسات الشرق الأوسطية بالجامعة، أفكار إصلاح التعليم المهني العربي، مقالة لمجلة "العالم العربي" العدد ٢، ١٩٩٣م.
- ١٣- شوي تشينغ قوه، عميد كلية الدراسات العربية في جامعة الدراسات الأجنبية - بكين، اللغة العربية في الصين الحديثة، نشرت هذه المقالة في مجلة حوار العرب، العدد ١٦، مارس ٢٠٠٦، لي شينغهاوا، تاريخ الإسلام في الصين، ص ٧٢٠-٧٢٥، دار النشر الاجتماعية الصينية ١٩٩٤م. وما تشونن جيه وتشانن قوانن لين، أسلوب التدريس البسيط وتجربة التعليم الناجحة، مجلة "المسلمون الصينيون"، العدد ٦ ص ٢٠، ١٩٩٧م.
- ١٤- أ. د. تشانغ جيا مين، اللغة العربية في الصين ومدارسها وحركة تعليمها: مقالة في المؤتمرات والندوات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
- ١٥- يه ليانغ ينغ، تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية، مقالة نشرت في De Gruyter، ٢٠٢١م.
- ١٦- أ.د. شوي تشينغ قوه، اللغة العربية في الصين الحديثة، المقالة في مجلة حوار العرب، العدد ١٦، مارس ٢٠٠٦